

شهر رمضان



الأمير الصائم

لقد نبهنا السببج الداعية الشيخ برفاني بلال
محمد الباسم العظيمة القادري الضوي
تخطيطه العظيمة

الأمير الصائم

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير

أبي بلال محمد إلياس العطار القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب

مجلس التراجع

الطبعة الأولى
ربيع الأول
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

مكتبة المدينة

للطباعة والنشر والتوزيع المركز العالمي جامع فيضان
المدينة سوق الخضار القديم حي سودا غران كراتشي،
باكستان.

هاتف: ٩٣-٩٣٨٩-٣٤٩٢١٣٨٩-٠٠٩٢٢١ فاكس: ٣٤٩٢١٣٩٤-٠٠٩٢٢١

البريد الإلكتروني: translation@dawateislami.net

موقعنا على الإنترنت: www.dawateislami.net

أخي القارئ العزيز:

فضيلة الشيخ الداعية الكبير أبو بلال محمد إلياس العطار القادري الرضوي، قد صنّف الكتب، والرسائل والمحاضرات باللغة الأردية فأخذنا على أنفسنا ترجمتها من الأردية إلى العربية والإنجليزية والفارسية وغيرها من اللغات وقمنا بترجمة هذه الرسالة من الأردية إلى العربية، وتم إخراجها بنهج دقيق متقن قبل دفعها للطباعة، فإن وافقت الحقّ والصواب فالمنة لله العلي الكبير، وإلاّ فالعبد محلّ الخطأ والتقصير.

ونسأل بلسان التضرع، والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن تنظروها بعين الرضى والصواب فما كان من نقص كملوه وما كان من خطأ أصلحوه بل أرسلوه لنا فتداركه في الطبعات اللاحقة ونرحب بملاحظاتكم النافعة وبهذا تكونون قد شاركتكم معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعاً في سيرنا نحو الأفضل.

مجلس التراجم من مركز الدعوة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ،

أَمَّا بَعْدُ:

فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كَثْرَةُ الذِّكْرِ، وَالصَّلَاةُ عَلَيَّ تَنْفِي الْفَقْرَ»^(١).

صَلُّوا عَلَى الْحَبِيبِ! صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ

قَدْ صَمَتَ الْأَمِيرُ فَجَاءَتْ فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ وَوَزَّرَاؤُهُ وَحَاشِيئَتُهُ عَلَى صَمْتِهِ حَيْثُ بَدَّلُوا قُصَارَى جُهْدِهِمْ لِيَتَكَلَّمَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا وَبِالرَّغْمِ مِنْ سُكُوتِهِ فَقَدْ كَانَ مَشغُولًا فِي نَشَاطَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ الْأَمِيرُ الصَّامِتُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ لِصَيْدِ الطُّيُورِ وَوَقَّفَ تَحْتَ شَجَرَةٍ كَثِيفَةٍ يَبْحَثُ عَنْ طَيْرٍ وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ وَسَهْمٌ فَإِذَا بِهِ قَدْ سَمِعَ زَقزَقَةَ طَيْرٍ مِنْ دَاخِلِ أَوْرَاقِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فَرَمَى السَّهْمَ عَنِ الْقَوْسِ إِلَى جِهَةِ صَوْتِهِ فَسَقَطَ الطَّيْرُ

^(١) ذكره السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في "القول البدیع"، ص ٢٧٣.

حَرِيحًا مُتَقَلِّبًا فَمَا تَمَالَكَ الْأَمِيرُ نَفْسَهُ إِلَّا وَتَكَلَّمَ قَائِلًا: يَسْلَمُ
الطَّيْرُ مَا دَامَ صَامِتًا لَكِنَّهُ بَزَقَ قَتِيهِ أُصَيْبَ بَسْهَمٍ وَلِلْأَسْفِ تَكَلَّمْتُ
أَيْضًا بَزَقَ قَتِيهِ.

صَلُّوا عَلَى الْحَبِيبِ! صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ

السلامة في الصمت

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ! لَوْ فَرَضْنَا أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَوْضُوعَةٌ لَكِنْ مِنْ
الْحَقَائِقِ الَّتِي لَا تُرْفَضُ أَنَّ الرَّجُلَ كَثِيرَ الْكَلَامِ دُونَ نَفْعٍ يُضِيْعُ
مُعْظَمَ وَقْتِهِ وَوَقْتِ الْآخَرِينَ، وَكَثِيرًا مَا يَتَحَرَّجُ وَيَنْدَمُ عَلَى كَثِيرٍ
مِنْ أَقْوَالِهِ حَقًّا يَسْلَمُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَصَائِبِ مَا دَامَ صَامِتًا
عَنْ كَلَامٍ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ.

بهرام والطير

يُقَالُ: كَانَ بَهْرَامٌ جَالِسًا ذَاتَ لَيْلَةٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَسَمِعَ
مِنْهَا صَوْتَ طَائِرٍ فَرَمَاهُ، فَأَصَابَهُ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ حِفْظَ اللِّسَانِ
بِالطَّائِرِ، وَالْإِنْسَانُ لَوْ حَفِظَ لِسَانَهُ مَا هَلَكَ^(١).

(١) ذكره شهاب الدين الأبيشيبي (ت ٨٥٠هـ) في "المستطرف"، الفصل الأول في

الصمت وصون اللسان، ١/١٤٧.

أربعة أحاديث حول فضيلة الصمت

[١]: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^(١).

[٢]: «الصَّمْتُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ»^(٢).

[٣]: «الصَّمْتُ أَرْفَعُ الْعِبَادَةَ»^(٣).

[٤]: «مَقَامُ الرَّجُلِ لِلصَّمْتِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً»^(٤).

شرح أفضلية عبادة ستين سنة

قال الشيخ المفتي أحمد يار خان النعمي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث الشريف: أي: إذا عبدَ أحدٌ ستينَ سنةً ومع ذلك كان يُكَلِّمُ كثيراً ولا يُفَرِّقُ بَيْنَ الكلامِ الحَسَنِ والكلامِ القَبِيحِ، فالأفضلُ له الصَّمْتُ قَلِيلاً، فإنَّ فيه فِكْرَةً وإِصْلَاحَ نَفْسٍ واستِغْرَاقًا في المَعَارِفِ وَالْحَقَائِقِ وَغَوَصًا في بَحْرِ الذِّكْرِ الخَفِيِّ ومُرَاقَبَةً أَيْضًا^(٥).

(١) أخرجه الترمذي (ت ٢٧٩هـ) في "سننه"، ٢٢٥/٤، (٢٥٠٩).

(٢) ذكره الديلمي (ت ٥٠٩هـ) في "الفردوس"، ٣٦/٢، (٣٦٦٦).

(٣) ذكره الديلمي في "فردوس الأخبار بمأثور الخطاب"، ٣٦/٢، (٣٦٦٥).

(٤) ذكره البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في "شعب الإيمان"، ٢٤٥/٤، (٤٩٥٣).

(٥) ذكره المفتي أحمد يار خان النعمي في "مرآة المناجيح"، ٣٦١/٦.

خسائر فضول الكلام

اللاهون والثرثارون في كلامٍ لا يعني، والذين يقولون:
إنَّ فضولَ الكلامِ مُباحٌ وليسَ بذَنْبٍ فَيَتَكَلَّمُونَ أحيانًا كلامًا لا
طائلَ تَحْتَهُ فكلُّ هؤلاءِ الأناصِ ينبغي عليهم أن يلاحظوا اقتراحات
الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله
تعالى حول فضول الكلام حيثُ ذمَّه رحمه الله تعالى بناءً على
أربعة أمور:

الأول: شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحقُّ
المرء أن يستحبي منهما فلا يؤذيهما، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ
مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨/٥٠].

والثاني: إرسال كتاب الله سبحانه وتعالى من اللغو والهذر
فليحذر العبد من ذلك.

والثالث: قراءته بين يدي المليك الجبار يوم القيامة على
رؤوس الأَشْهادِ بَيْنَ الشَّدَائِدِ والأَهْوالِ، عَطْشانٌ عُريانٌ جوعانٌ،
مُنْقَطِعًا عن الجَنَّةِ، مَحْبُوسًا عن النِّعمَةِ.

والرابع: اللوم والتعبير بماذا قلت وانقطاع الحجة والحياء
من رب العزة^(١).

صلوا على الحبيب! صلى الله تعالى على محمد

ما أخوف ما يخاف عليه

عن سيدنا سفيان بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال:
قلت: يا رسول الله حدثني بأمرٍ أعتصمُ به، قال: «قل: ربِّي الله،
ثم استقم»، قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخافُ عليّ؟
فأخذَ بلسانِ نفسه، ثم قال: «هذا»^(٢).

قل خيراً أو اصمت

لَيْتَ حَدِيثَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ الْآتِي يَتَرَسَّخُ فِي أَدْهَانِنَا،
وَهَا هُوَ الْحَدِيثُ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكَلِّمْ
خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٣)، وَنُقِلَ فِي "حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ": كَانَ سَيِّدُنَا أَبُو
بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، يَقُولُ: «لَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ لَا

(١) ذكره الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في "منهاج العابدين"، الفصل الثالث في اللسان ص ٦٧.
(٢) أخرجه الرمذي في "سننه"، كتاب الفتن، باب ما جاء في حفظ اللسان،
١٨٤/٤، (٢٤١٨).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ١٠٥/٤، (٦٠١٨).

يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى»^(١)، ويقول سَيِّدُنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «أَوَّلُ الْعِبَادَةِ الصَّمْتُ ثُمَّ طَلَبُ الْعِلْمِ، ثُمَّ حِفْظُهُ، ثُمَّ الْعَمَلُ بِهِ، ثُمَّ نَشْرُهُ»^(٢).

إن كنت تريد الجنة

قِيلَ لَسَيِّدِنَا عَيْسَى رُوحَ اللَّهِ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: دُلَّنَا عَلَى عَمَلٍ نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، قَالَ: لَا تَنْطِقُوا أَبَدًا، قَالُوا: لَا نَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَقَالَ: فَلَا تَنْطِقُوا إِلَّا بِخَيْرٍ^(٣).

صَلُّوا عَلَى الْحَبِيبِ! صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ

الصمت سبب في سلامة الدين

من يتحدث كثيراً، وَيَقْطَعُ الْكَلَامَ، فَإِنَّهُ يُحْرَمُ مِنْ فَهْمِ كَلَامِ النَّاسِ، فَالْمِكْثَارُ عَلَى خَطَرٍ؛ إِذْ قَدْ تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ حِينَ يُثَرِّثُ.

قال حُجَّةُ الْإِسْلَامِ سَيِّدُنَا الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي "إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ":

(١) ذكره الأصفهاني في "حلية الأولياء"، ٧١/١، (٨٢).

(٢) ذكره البغدادي في "تاريخ بغداد"، ٦/٦.

(٣) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آفات اللسان، ١٣٦/٣.

قال بعضهم: «الصَّمْتُ يَجْمَعُ لِلرَّجُلِ فَضِيلَتَيْنِ: السَّلَامَةَ فِي دِينِهِ وَالْفَهْمَ عَنْ صَاحِبِهِ»^(١).

الصمت ستر للجاهل

عن سَيِّدِنَا سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ:
«كَانَ يُقَالُ: الصَّمْتُ زَيْنٌ لِلْعَالِمِ، وَسِتْرٌ لِلْجَاهِلِ»^(٢).

الصمت مفتاح العبادة

عن سَيِّدِنَا سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «طَوْلُ الصَّمْتِ
مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ»^(٣).

حفظ المال أسهل من حفظ اللسان

قال سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى: يَا أَبَا يَحْيَى حِفْظُ اللِّسَانِ أَشَدُّ عَلَى النَّاسِ مِنْ حِفْظِ الدِّيْنَارِ
وَالدَّرْهِمِ^(٤).

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آفات اللسان، ١٣٧/٣.

(٢) ذكره البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في "شعب الإيمان"، ٢٦٩/٤، (٥٠٥٥).

(٣) ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٨١هـ) في رسالته "كتاب الصمت وآداب اللسان"، (موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا)، ٢٥٥/٧، (٤٣٦).

(٤) ذكره الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في "إتحاف السادة المتقين"، ١٤٤/٩.

للأسف كلُّ واحدٍ مِنَّا يَقِظُ لِحِفْظِ الْمَالِ عَادَةً، مَعَ أَنَّ
 الْمَالَ لَوْ ضَاعَ فِيهِ خُسْرَانُ الدُّنْيَا وَحَسْبُ، وَلَكِنْ لِلْأَسْفِ
 الشَّدِيدِ قَلٌّ مَنْ يَفَكِّرُ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ، وَطَبَعًا لَا شَكَّ أَنَّ الاحْتِمَالَ
 الْقَوِيَّ لِخُسْرَانِ الآخِرَةِ بِجَانِبِ خُسْرَانِ الدُّنْيَا وَارِدٌ بِسَبَبِ عَدَمِ
 حِفْظِ اللِّسَانِ.

صَلُّوا عَلَى الْحَبِيبِ! صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ

كثيراً ما يندم المتكلم

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ احْتِمَالَ النَّدَامَةِ عَلَى الصَّمْتِ
 قَلِيلٌ جَدًّا بَيْنَمَا احْتِمَالُ النَّدَامَةِ عَلَى كَثْرَةِ الْكَلَامِ كَبِيرٌ جَدًّا فَكثيراً
 مَا يَضْطَرُّ الرَّجُلُ بَعْدَ كَلَامِهِ الْكَثِيرِ إِلَى الْاسْتِسْمَاحِ أَوْ يَنْدَمُ بِقَلْبِهِ
 وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: لَوْ لَمْ أَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَكَانَ حَسَنًا لِأَنَّهُ
 قَدْ ذَهَبَ حَيَاءٌ مُخَاطَبِي أَوْ انزَعَجَ مِنِّي أَوْ ذَبَلَ وَجْهُهُ وَحَزَنَ قَلْبُهُ
 أَوْ قَلَّتْ هَيْبَتِي أَيْضًا بِكَثْرَةِ كَلَامِي، وَعَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ
 الْحَارِثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَثْرَةُ الْكَلَامِ تَذْهَبُ بِالْوَقَارِ»^(١).

(١) ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٨١هـ) في رسالته "كتاب الصمت وآداب
 اللسان"، (موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا)، ٦٠/٧، (٥٢).

الندامة على الصمت خير من الندامة على الكلام

حَقًّا النَّدَامَةُ عَلَى الصَّمْتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَامَةِ عَلَى الْكَلَامِ فَمَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْكَلَامِ وَقَعَ فِي مَصَائِبَ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَنْ اعْتَادَ كَثْرَةَ الْأَكْلِ أَفْسَدَ بِنَفْسِهِ مَعِدَّتَهُ، وَأَصْبَحَ سَمِينًا، وَأُصِيبَ بِأَمْرَاضٍ شَتَّى، وَإِنْ سَلِمَ مِنَ الْأَمْرَاضِ فِي شَبَابِهِ، فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يُصَابَ بِأَمْرَاضٍ خَطِيرَةٍ فِي كِبَرِهِ، (لِيُرَاجَعَ الْبَابُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ "تَفْحَاتِ السُّنَّةِ" لِمَعْرِفَةِ أَضْرَارِ كَثْرَةِ الْأَكْلِ وَمُعَالَجَةِ السَّمَنِ).

للأخرس منفعة

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ! لَا شَكَّ أَنَّ لِلْأَعْمَى فَائِدَةً إِذْ يُحْفَظُ مِنَ الْمَعَاصِي كَالنَّظَرِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ، وَالشَّابِّ الْأَمْرَدِ بِالشَّهْوَةِ، أَوْ مُشَاهِدَةِ الْأَفْلَامِ، وَالْمُسْلَسَلَاتِ الْفَاحِشَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي وَكَذَلِكَ الْأَخْرَسُ يُحْفَظُ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ يَقُولُ سَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْتَنِي كُنْتُ أَخْرَسَ إِلَّا عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١).

^(١) ذكره العلامة علي القاري في "مرقاة المفاتيح"، كتاب الفضائل، ٨٧/١٠،

وجاء في "إحياء علوم الدين": رأى سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه امرأة سليطة، فقال: «لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها»^(١).

كيف يكون البيت آمناً؟

لنعتبر بقول سيدنا أبي الدرداء أخواتنا التي تعكف على الاغتياب والتفريق بين الناس، وإذا التزمت الصمت سلمت من المشاكل الأسرية وقطع الأرحام والنزاع بين الحماة والكنة، وكثير من المصاعب، وسيكون كل أسرة آمناً، لأن الشجار الأسري يحدث على الأغلب بسبب سوء استخدام اللسان.

طريقة لحل الصراع بين الحماة والكنة

إذا كانت الحماة تزجر كتنها فعلى الكنة أن تصبر ولا تناقشها ولا تشكيها إلى زوجها ولا إلى أمها ولا تعبس ولا تصب جام الغضب على الأولاد أو الأواني فهكذا تفوز بإذن الله تعالى كما يقال: الصمت سلامة. وكذلك إذا كانت الكنة تجادل حماتها فعلى الحماة أن لا ترد عليهن، بل تلتزم الصمت، ولا

^(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آفات اللسان، ١٤٢/٣.

تَشْكِيهَا إِلَى أَحَدِ أَفْرَادِ أُسْرَتِهَا حَتَّى إِلَى ابْنِهَا، وَإِذَا عَمِلَتْ بِهَذِهِ
النَّصِيحَةِ فَسَوْفَ تَطْمَئِنُّ وَيُنْتَهِي النَّزَاعُ بَيْنَهُمَا وَيَكُونُ الْبَيْتُ بَيْتَ
أَمْنٍ وَسَلَامٍ وَلِمُعَالَجَةِ الصَّرَاحِ بَيْنَ الْحِمَاةِ وَالْكِنَّةِ يُرْجَى مُشَاهَدَةَ
الْقُرْصِ الصَّوْتِيِّ وَالْمَرْئِيِّ بِعُنْوَانٍ: "كَيْفَ يُجْعَلُ الْبَيْتُ بَيْتَ أَمْنٍ
وَسَلَامٍ"، وَيُمْكِنُكُمْ الْحَصُولُ عَلَيْهِ مِنْ مَكْتَبَةِ الْمَدِينَةِ أَوْ مِنْ مَوْقِعِ
مَرْكَزِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: www.dawateislami.net وَكَمْ مِنْ
يُيُوتِ صَارَتْ أَمِنَةً بِمُشَاهَدَةِ هَذَا الْقُرْصِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

تقول الأعضاء للسان

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ! إِذَا اسْتَقَامَ اللِّسَانُ وَصَدَرَ مِنْهُ الْكَلَامُ الْحَسَنُ
تَمَتَّعَ بِهِ جَمِيعُ الْجَسَدِ، وَإِذَا اعْوَجَّ كَمَا إِذَا نَهَرَ أَوْ سَبَّ أَوْ أَهَانَ أَوْ
اغْتَابَ، أَوْ كَذَبَ فُرُبَمَا يَتَسَبَّبُ فِي ضَرْبِ الْجَسَدِ فِي الدُّنْيَا، يَقُولُ
الْحَبِيبُ الْمَصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ
آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا
نَحْنُ بِكَ فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»^(١).

صَلُّوا عَلَى الْحَبِيبِ! صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، ٤/١٨٣، (٢٤١٥).

فضل طيب الكلام

يقولُ رسولُ الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُرْفًا يُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى اللهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(١).

طول الصمت

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَوِيلَ الصَّمْتِ^(٢)، وَقَالَ الشَّيْخُ الْمُفْتِي أَحْمَدُ يَارِخَانُ النَّعِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:

الْمُرَادُ بِالصَّمْتِ: الصَّمْتُ عَنْ كَلَامِ الدُّنْيَا، وَإِلَّا كَانَ لِسَانُهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَمَا كَانَ يَتَحَدَّثُ كَلَامًا مَبَاحًا إِلَّا عَلَى حَاجَةٍ مَاسَّةٍ وَأَمَّا الْكَلَامُ الْمُحَرَّمُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْهُ أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ كَالْكَذِبِ، وَالْغَيْبَةِ، وَالتَّمِيمَةِ

(١) أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة الجنة، ٢٣٦-٢٣٧، (٢٥٣٥).

(٢) ذكره البغوي في "سننه"، كتاب الفضائل، ٤٥/٧، (٣٥٨٩).

وغير ذلك من المحرمات فإن النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم
عين الحق فكيف يأتيه الباطل؟!^(١).

نوعان من الكلام والصمت

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «إملاءُ
الخير خيرٌ من السكوت، والسكوتُ خيرٌ من إملاء الشر»^(٢)،
وقال سيدنا الشيخ عليُّ بن عثمان الهجويزيُّ رحمه الله تعالى
في كتابه "كشَفِ المَحْجُوبِ":

الكلامُ نوعان:

الأوَّل: الكلامُ الحقُّ، والثَّاني: الكلامُ الباطلُ وكذلك
الصَّمتُ على نوعينِ: الأوَّل: الصَّمتُ ذو غرضٍ (كالصَّمتِ
بالتَّفكُّرِ في الآخِرَةِ أو التَّفكُّرِ في أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ)، والثَّاني:
الصَّمتُ المملوءُ بالعفلةِ، فعلى كُلِّ شَخْصٍ أَنْ يَتَفَكَّرَ جَيِّدًا
حَالِ الصَّمتِ: أنْ كَلَامَهُ إِنْ كَانَ حَقًّا فَكَلَامُهُ خَيْرٌ مِنْ صَمْتِهِ وَإِنْ
كَانَ كَلَامُهُ بَاطِلًا فَصَمْتُهُ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِهِ.

^(١) ذكره المفتي أحمد يار خان النعيمي في "مرآة المناجيح"، ٨/٨١.

^(٢) ذكره البيهقي في "شعب الإيمان"، ٤/٢٥٦-٢٥٧، (٤٩٩٣).

وقد نقلَ الشيخُ الهَجَوِيْرِيُّ حِكَايَةَ لِإِيضَاحِ مَعْنَى كَوْنِ
 الْكَلَامِ حَقًّا، أَوْ بَاطِلًا: سَمِعَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الشُّبَلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ
 رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ يَمُرُّ بِحَيِّ بَغْدَادَ رَجُلًا يَقُولُ: السُّكُوتُ خَيْرٌ
 مِنَ الْكَلَامِ، فَقَالَ: سُكُوتُكَ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِكَ، وَكَلَامِي خَيْرٌ مِنْ
 سُكُوتِكَ^(١).

تعريف الفحش

مَا أَحْسَنَ حَظَّ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا
 بِخَيْرٍ، وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَلِلْأَسَفِ الْيَوْمِ، قَلَّتْ الْمَجَالِسُ الَّتِي
 تَخْلُو عَنْ الْكَلَامِ الْفَاحِشِ حَتَّى لَمْ يَعُدَّ يَتَجَنَّبُهُ مَنْ يَكُونُ عَلَى هَيْئَةِ
 الْمُتَدِينِينَ لَعَلَّهُ لَا يَعْرِفُ مَا هُوَ الْفُحْشُ وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَدُّ الْفُحْشِ
 وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَحَةِ بِالْعِبَارَاتِ الصَّرِيحَةِ^(٢)،
 وَالشَّبَابِ الَّذِينَ يَقْصُونَ حِكَايَاتٍ عَنْ خَلَوَاتِ الزَّفَافِ وَأَسْرَارِهِ
 دُونَ حَاجَةٍ سِوَى تَحْرِيزِ الشَّهَوَاتِ، وَإِشْعَالِهَا، وَيَتَكَلَّمُونَ،
 وَيَمَزْحُونَ بِكَلَامِ فَاحِشٍ، وَيَسْبُونَ، وَيُشِيرُونَ بِإِشَارَاتٍ فَاحِشَةٍ،

(١) ذكره الهجويري في "كشف المحجوب"، ص ٤٠٢.

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آفات اللسان، ١٥١/٣.

وَيَتَلَذَّذُونَ بِهَا وَيُشَاهِدُونَ الْأَفْلَامَ وَالْمُسْلَسَلَاتِ الْإِبَاحِيَةَ بِبَاعِثِ
الشَّهْوَةِ وَالْهَوَىٰ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يقرؤوا الرواية الآتية مرارًا وتكرارًا،
وَأَنْ يَرْتَعِبُوا وَيَرْتَجِفُوا خَوْفًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى:

رجل يسيل فوه قيحًا ودمًا

رُوي: أَنَّ أَرْبَعَةَ يُؤذُونَ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ
مِنَ الْأَذَى يَسْعُونَ بَيْنَ الْحَمِيمِ وَالْحَجِيمِ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ
-أَي: الْهَلَاكِ-: رَجُلٌ يَسِيلُ فُوهَهُ -أَي: فَمُهُ- قَيْحًا وَدَمًا، فَيُقَالُ
لَهُ: مَا بِالِ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بَنَّا مِنَ الْأَذَى، فَيَقُولُ: إِنَّ الْأَبْعَدَ
كَانَ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ قَدِ عَةٍ -أَي: قَبِيحَةٍ- خَبِيثَةٍ، فَيَسْتَلِذُّهَا
كَمَا يَسْتَلِذُّ الرَّفَثَ^(١).

لِيَعْتَبِرَ بِالْأَثَرِ الْمَذْكُورِ مَنْ يَتَوَجَّهُ مُتَعَمِّدًا إِلَى وَسَاوِسِ
الشَّيْطَانِ مِنَ الْخَوَاطِرِ حَوْلَ الْأَجْنِبَاتِ وَالْمُرْدِ، وَيَتَلَذَّذُ بِهَا وَيَعْمَدُ
إِلَى الْخَيَالَاتِ الْفَاحِشَةِ.

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

(١) ذكره الزبيدي في "اتحاف السادة المتقين"، ١٨٧/٩.

في صورة الكلب

قال سيدنا إبراهيم بن ميسرة رضي الله تعالى عنه: يُقالُ:
«يؤْتَى بِالْفَاحِشِ الْمُتَفَحِّشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ كَلْبٍ»^(١).

الجنة حرام.....

يقولُ رسولُ الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الْجَنَّةُ
حَرَامٌ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ أَنْ يَدْخُلَهَا»^(٢).

سبعة أقوال لسيدنا عمر بن الخطاب

قال سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه:

- [١]: من تَرَكَ فُضُولَ الْكَلَامِ مُنِحَ الْحِكْمَةَ.
- [٢]: ومن تَرَكَ فُضُولَ النَّظْرِ مُنِحَ خُشُوعَ الْقَلْبِ.
- [٣]: ومن تَرَكَ فُضُولَ الطَّعَامِ مُنِحَ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ.
- [٤]: ومن تَرَكَ فُضُولَ الضَّحِكِ مُنِحَ الْهَيْبَةَ.

(١) ذكره الزبيدي في "إتحاف السادة المتقين"، ١٩٠/٩.

(٢) ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد في رسالته "كتاب الصمت وآداب اللسان"،

(موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا)، ٢٠٤/٧، (٣٢٥).

[٥]: وَمَنْ تَرَكَ فَضُولَ الْمُزَاحِ مُنِحَ الْبَهَاءِ.

[٦]: وَمَنْ تَرَكَ فَضُولَ حُبِّ الدُّنْيَا مُنِحَ حُبِّ الْآخِرَةِ.

[٧]: وَمَنْ تَرَكَ الْاِشْتِعَالَ بِعُيُوبِ غَيْرِهِ مُنِحَ الْإِصْلَاحَ

بِعُيُوبِ نَفْسِهِ^(١).

يَا لَيْتَ: يَجِدُ هَذَا

لِيَتَعَوَّذَ كُلُّ أَخٍ وَأَخْتٍ فِي الْإِسْلَامِ قِرَاءَةَ هَذَا الْكُتَيْبِ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الْأَوَّلِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ قَمَرِيٍّ، وَسَيَشْعُرُ بِالتَّغْيِيرِ الْمُدْهَلِ
فِي الْقَلْبِ، وَخَاصَّةً تَطْبِيقُ الْجَائِزَةِ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ وَالْجَائِزَةَ
السَّادِسَةَ، وَالْأَرْبَعِينَ، وَسَيَلَّةٌ مُمْتَازَةٌ لِحِفْظِ اللِّسَانِ، فَالْأَفْضَلُ
لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُكْمِلَ كَلَامَهُ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ بِقَصْدِ التَّحَرُّزِ مِنْ فَضُولِ
الْكَلَامِ، وَيُخَاطَبُ بِالْإِشَارَةِ أَوْ يَقُومُ بِالتَّعْبِيرِ عَمَّا يُرِيدُ بِالْكِتَابَةِ
قَلِيلًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ مِنْ فَضُولِ الْكَلَامِ.

سِرُّ كَوْنِ أَحَدِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
يَعْرِفُ النَّاسَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِمْ هَلْ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ

(١) ذَكَرَهُ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِي فِي "الْمُنْبَهَاتِ"، ص ٨٩-٩٠.

النَّارِ، بَلْ كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ مَحِيئِهِمْ إِلَيْهِ،
 حَيْثُ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ
 مِنْ هَذَا الْبَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَامَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَخْبَرْنَا بِأَوْثَقِ عَمَلٍ فِي نَفْسِكَ تَرْجُو
 بِهِ، فَقَالَ: إِنِّي لَضَعِيفٌ، وَإِنْ أَوْثَقَ مَا أَرْجُو بِهِ اللَّهُ سَلَامَةٌ
 الصِّدْرِ، وَتَرَكْتُ مَا لَا يَعْنِينِي»^(١)، وَالْمُرَادُ بِسَلَامَةِ الصِّدْرِ أَنْ
 يُحْفَظَ الْقَلْبُ مِنَ اللَّغْوِ وَالْحَسَدِ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَمْرَاضِ الْبَاطِنَةِ،
 وَأَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ مُحْكَمًا.

أمثلة فضول الكلام

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ! فَضُولُ الْكَلَامِ لَيْسَ بِذَنْبٍ، وَلَكِنْ
 لَا خَيْرَ فِيهِ أَيْضًا سُبْحَانَ اللَّهِ، قَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ بِالْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ

^(١) ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد في رسالته "كتاب الصمت وآداب اللسان"،
 (موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا)، ٨٦/٧، (١١١).

خِصَالِهِ: أَنَّهُ مَا كَانَ يَتَكَلَّمُ بِفُضُولِ الْكَلَامِ أَبَدًا، وَمَا كَانَ يَسْأَلُ
عَنْ أَمْرٍ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِهِ، وَلِلْأَسْفِ نَحْنُ نَسْأَلُ عَنْ أُمُورٍ لَا عِلَاقَةَ
لَنَا بِهَا أَصْلًا دُونَ حَاجَةٍ مِثْلًا: بِكُمْ اشْتَرَيْتَ هَذَا؟ وَكَمْ ثَمَنُ
قِطْعَةِ أَرْضٍ فِي مَكَانٍ كَذَا؟ وَعِنْدَمَا نَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ أَحَدٍ أَوْ
يَسْتَأْجِرُ وَاحِدًا مِنَّا بَيْتًا جَدِيدًا نَسْأَلُهُ: بِكُمْ اشْتَرَيْتَ هَذَا الْبَيْتَ؟
وَكَمْ غُرْفَةً فِيهِ؟ وَكَمْ أُجْرَتُهُ؟ وَكَيْفَ يَتَعَامَلُ صَاحِبُ الْبَيْتِ
مَعَكَ؟...

وَأَمَّا هَذَا السُّؤَالُ الْأَخِيرُ فَيَكُونُ سَبَبًا لِفَتْحِ بَابِ الْغِيْبَةِ
وَالْتِهَمَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ؛ لِأَنَّ جَوَابَهُ دُونَ إِذْنِ شَرْعِيٍّ يَكُونُ عَلَى
الْأَغْلَبِ مَمْلُوءًا بِالذُّنُوبِ، مِثْلًا: صَاحِبُ بَيْتِنَا سَيِّءُ الْخُلُقِ أَوْ
قَاسِي الْقَلْبِ أَوْ مُتَعَوِّجٌ جَدًّا أَوْ سَفِيهٌ أَوْ شَرِيْرٌ أَوْ بَخِيْلٌ وَكَذَلِكَ
حِينَمَا يَشْتَرِي أَحَدٌ مَحَلًّا جَدِيدًا أَوْ سَيَّارَةً أَوْ دَرَّاجَةً آليَّةً نَسْأَلُهُ
عَنْ ثَمَنِهَا وَمَتَانَتِهَا وَشِرَائِهَا نَقْدًا أَوْ نَسِيئَةً أَوْ بِالْأَقْسَاطِ وَكَذَلِكَ
الْمَرِيضُ الْمَسْكِينُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ يَسْأَلُهُ مَنْ يَعُوْذُهُ عَنْ
تَفَاصِيْلِ جَمِيْعِ الْأَشْيَاءِ خِلَالَ الْمُعَالَجَةِ حَتَّى عَنْ نَتِيْجَةِ الْأَشِعَّةِ
وَمُخْتَبَرِ التَّحَالِيْلِ الطَّبِيْبِيَّةِ وَإِنْ أُجْرِيَتْ لَهُ عَمَلِيَّةٌ جِرَاحِيَّةٌ يَسْأَلُهُ عَنْ
عَدَدِ الْخِيَّاطَةِ، حَتَّى لَا يَسْتَحْيِي الْبَعْضُ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْعَوْرَاتِ،

وأيضاً لا تتخلف النساء عن الرجال في هذا الباب، وكذا يتكلم الناس حول شدة الحر والبرد وخفتها في أيام الصيف والشتاء دون حاجة كما يقول البعض: يا لشدة الحر في هذه الأيام وفوق هذا تنقطع الكهرباء مراراً!

وكذلك يقول الناس في الشتاء حين تصطل أسنانهم بالبرد: البرد قارس اليوم وإذا كان الجو مطراً يقولون: الأمطار لا تتوقف، وبرك الماء في كل مكان، والبلدية لا تهتم بتنظيف الأوحال من الطرقات.

وكذلك يحاورون حول الأوضاع السياسية الداخلية، ويتقيدون الأحزاب السياسية المتنوعة دون نية الإصلاح، وإذا سافر أحد إلى مدينة أو بلد يذكر جبالها وأماكنها الخضراء وأوصاف بيوتها وشوارعها بدون حاجة إلى ذكرها.

فليس هذا كله إلا فضول الكلام غير أنه لا بد أن يعلم أننا إذا وجدنا شخصاً يتكلم ما ذكر أعلاه وجب علينا أن نحسن الظن به، لأن الكلام المباح قد يصير خيراً بنية صالحة، أو على الأقل لا يندرج تحت فضول الكلام.

صلوا على الحبيب! صلى الله تعالى على محمد

الاحتراز من المبالغة التي تؤدي إلى الكذب

اعلموا أن فضول الكلام ليس بذنب، ولا يتحقق إلا إذا
ذُكِرَ كما هو دُونَ نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ، وَأَمَّا مِنْ بَالِغٍ فِي الْوَصْفِ وَقَعَ
فِي الْكَذِبِ، وَوَقَعَ فِي حُفْرَةِ الْمَعَاصِي.

وَمِمَّا يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُدَقِّقَ فِي مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ،
حَتَّى لَا يَتَجَاوَزَ فَضُولَ الْكَلَامِ، وَعَلَى الْأَغْلَبِ تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ
مُبَالَغَةٌ -فِيكُونُ كَذِبًا- وَالغَيْبَةُ وَالتَّهْمَةُ أَوْ يَفْضَحُ النَّاسَ، وَيَكْسِرُ
خَاطِرَهُمْ وَلِذَا فَالْعَافِيَةُ فِي الصَّمْتِ، كَمَا يُقَالُ: الصَّامِتُ مُرْتَاحٌ
الْبَالِ.

يا ليتنا نتفكر أولاً ثم نتكلم

حَقًّا إِذَا تَعَوَّدَ الْإِنْسَانُ التَّفَكُّرَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بَدَأَ يَتَعَرَّفُ
عَلَى كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِ الْعَبَثِ نَعَمْ فَضُولُ الْكَلَامِ لَيْسَ بِذَنْبٍ، وَلَكِنْ
فِيهِ أَضْرَارٌ مُخْتَلِفَةٌ، كإِطْلَاقِ اللِّسَانِ دُونَ حَاجَةٍ، ففِيهِ ضِيَاعُ
الْوَقْتِ فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ قَرَأَ كِتَابًا دِينِيًّا أَوْ بَيَّنَّ سُنَّةَ الْحَبِيبِ
الْمُصْطَفَى بَدَلًا مِنْهُ لِحَصَلَ عَلَى الْأَجْرِ الْعَظِيمِ.

صَلُّوا عَلَى الْحَبِيبِ! صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ

الكلام عن العمليات الإرهابية دون حاجة

إذا وَقَعَ عَمَلٌ إرهابيٌّ في مكانٍ مَّا أُتِيحتَ لِكثيرٍ مِنَ النَّاسِ فُرْصَةً فَضولَ الكلامِ والبعضُ يتكلمون كلامًا مملوءًا بالمعاصي، وفي كُلِّ مكانٍ يُذكرُ ذَلِكَ الحَادِثُ، وتُخَمَّنُ الأوضَاعُ، ويُناقشُ فيها دونَ عِلْمٍ، وتُتهمُّ أَحزابٌ سياسيَّةٌ أو زُعَماءُها رَجْمًا بالغَيْبِ.

ولَيْسَ مِثْلُ هذا الكلامِ عِبَثًا، فَحَسَبُ إِنَّمَا هو سَبَبٌ لِنَشْرِ الرُّعبِ والشَّائِعَاتِ وإثارةِ الضَّجَّةِ بَيْنَ النَّاسِ وأيضًا تَرغِبُ النَّفْسُ في الحديثِ عن الأخبارِ المُريعةِ وفي بعضِ الأحيانِ يدَعُو النَّاسُ اللهَ تعالى حينَ سَمَاعِهَا، لَكِنَّ في الحَقِيقَةِ يَتَمَتَّعونَ بِسَمَاعِ مِثْلِ هذه الأخبارِ المُرهبةِ يا لَيْتَنَا نَكُفُّ ألسِنَتَنَا عَنِ الحَدِيثِ في أخبارِ الإرهابِ والتفجيراتِ، ونَعْرِفُ مَكْرَ النَّفْسِ، نَعَمْ لا نَتْرُكُ الدُّعَاءَ لِمَنْ اسْتَشْهَدَ مَظْلُومًا أو أُصِيبَ، ولا نَتْرُكُ الدُّعَاءَ بِنَصْرِ الإسلامِ والمُسلمينَ، فإنَّ هذا من موجباتِ الأجرِ، وإذا سَمِعْنَا مِثْلَ هذا الكلامِ فِينبَغِي أَنْ نَتَفَكَّرَ في نِيَّاتِنَا: إنْ كانتْ حَسَنَةً فلا حَرَجَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّهُ يُقصدُ به التَّمَتُّعُ على الأكثرِ.

وضع الحصة في الفم

أيها الإخوة الكرام! اللسانُ نعمةُ الله تعالى وسيُسألُ عنه يومَ القيامةِ ولذا لا يُستخدَمُ في العَبَثِ وقد كانَ سيِّدنا أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي اللهُ تعالى عنه شديدَ الحَذَرِ من آفاتِ اللسانِ حيثُ ذَكَرَ الإمامُ الغَزاليُّ رحمه اللهُ تعالى في "إحياءِ عُلومِ الدِّينِ": كانَ سيِّدنا أميرُ الْمُؤمِنينَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي اللهُ تعالى عنه يَضَعُ حَصاةً في فيه يَمْنَعُ بها نَفْسَه عن الكلامِ^(١).

تعلم الصمت أربعين سنة

أيها الإخوة في الإسلام! إن أردتمُ التَّعوُّدَ على الصَّمتِ حَتْمًا ففكِّروا فيه جيِّدًا ودرِّبوا أنفُسَكُم عليه، فإنَّ لزومَ الصَّمتِ يَصْغُبُ بِمُحاوَلَةِ عابِرَةٍ، وحاوِلُوا التَّعوُّدَ على الصَّمتِ مُحاوَلَةً كامِلَةً احْتِرَازًا من سُوءِ اسْتِخْدَامِ اللِّسانِ، وستَنجَحُونَ بِإِذْنِ اللهِ تعالى، ولكن يَنْبَغِي أن تَكُونَ المُحاوَلَةُ بِاسْتِقامَةٍ، فتعالوا نَسْتَمِعْ إلى حِكَايَةِ مَنْ يُحاوِلُ الاسْتِقامَةَ: عَن سيِّدنا أَرْطاةِ بِنِ المُنذِرِ رضي اللهُ تعالى عنه قال:

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آفات اللسان، ٣/١٣٧.

«تَعَلَّمَ رَجُلٌ الصَّمْتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بِحَصَاةٍ يَضَعُهَا فِي فِيهِ لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا عِنْدَ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ»^(١).
 انْتَبَهُوا إِلَى أَنْ لَا يَكُونَنَّ الْحَجَرُ صَغِيرًا يَدْخُلُ فِي الْحَلْقِ فَيُوقِعُهُ فِي مُشْكَلَةٍ، وَكَذَلِكَ لَا يَضَعُ الْحَجَرَ فِي فِيهِ وَهُوَ صَائِمٌ إِذْ قَدْ تَدَخَّلُ ذَرَاتُ التُّرَابِ فِي الْحَلْقِ.

محاسبة الكلام بالكتابة

مَا تَكَلَّمَ سَيِّدُنَا الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمَ بِكَلَامِ الدُّنْيَا عِشْرِينَ سَنَةً وَكَانَ إِذَا أَصْبَحَ وَضَعَ دَوَاةً وَقِرْطَاسًا وَقَلَمًا فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ بِهِ كَتَبَهُ، ثُمَّ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ^(٢).

طريقة محاسبة الكلام

الْمُرَادُ بِالْمُحَاسَبَةِ هُنَا هُوَ أَنْ يَتَّفَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ، فَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى كَلَامِهِ نَحْوًا: لِمَ تَكَلَّمْتُ ذَلِكَ الْكَلَامَ؟ وَلِمَ حَدَّثْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؟ وَلِمَاذَا أَضَافَ فِي كَلَامِهِ كَلِمَاتٍ

(١) ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد في رسالته "كتاب الصمت وآداب اللسان"،

(موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا)، ٢٥٦/٧، (٤٣٨).

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آفات اللسان، ١٣٧/٣.

لا حاجة للتكلم بها مع إمكان إيجاز الكلام؟ ويخاطب نفسه بقوله: يا نفس تُؤنبي إلى الله من كلام غير شرعي يكسر خاطر الناس واستسبحيهم، ولماذا ذهبت يا نفس إلى ذلك المجلس، مع العلم بأنهم يتكلمون كلامًا لا طائل تحته؟ وأنت سائرتهم في قولهم وقد سمعت هناك الغيبة وأنت راغبة فيها فتؤنبي، وأعزمني على الابتعاد عن تلك المجالس.

فهكذا يحاسب العاقل نفسه على المحادثة اليومية بل على جميع نشاطاته اليومية وبهذا تتبين له معاصيه وعدم حيظته وعيوبه ووهنه وتسح له فرصة إصلاح نفسه وفي مصطلح بيئة مركز الدعوة الإسلامية تُسمى المحاسبة بـ "فكر المدينة"، وفي بيئة مركز الدعوة الإسلامية يشجع الناس على محاسبة النفس لاثنتي عشرة دقيقة على الأقل كل يوم، وملئ كتيب جوائز المدينة خلالها.

صلوا على الحبيب! صلى الله تعالى على محمد

البكاء الشديد

عن سيدنا أبي عبد الله الخراساني رضي الله تعالى عنه قال: سمعت بعض العلماء ممن قدم على سيدنا عمر بن عبد العزيز

رضي الله تعالى عنه: «الصَّامِتُ عَلَى عِلْمٍ كَالْمُتَكَلِّمِ عَلَى عِلْمٍ، فقال سيدنا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله تعالى عنه: إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى عِلْمٍ أَفْضَلَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَالًا، وَذَلِكَ أَنَّ مَنَفَعَتَهُ لِلنَّاسِ، وَهَذَا صَمَّتَهُ لِنَفْسِهِ، قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَيْفَ بَفِتْنَةِ الْمَنْطِقِ؟ قال: فَبَكَى سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه بُكَاءً شَدِيدًا»^(١)، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَغَفَرَ لَنَا بِهِمْ، آمِينَ بِجَاهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

شرح الحكاية

أيها الإخوة! يا مَرَحَبًا بِحَيْطَةِ أَسْلَافِنَا وَمَشَاعِرِ خَوْفِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَا شَكَّ أَنَّ مَوَاعِظَ الْعُلَمَاءِ ذَوِي الْحَذَرِ وَإِرْشَادَهُمْ إِلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَدُرُوسَ الدُّعَاةِ الْمَمْلُوءَةِ بِالسُّنَّةِ وَجُهُودَهُمْ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّمْتِ لَكِنَّ تَنْبِيَهُ ذَلِكَ الْعَالَمِ سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ: فَكَيْفَ بَفِتْنَةِ الْمَنْطِقِ؟ كَانَ صَحِيحًا فِي مَكَانِهِ، وَقَدْ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُ فَهَمَ أَعْمَاقَ كَلَامِهِ.

^(١) ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد في رسالته "كتاب الصمت وآداب اللسان"، (موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا)، ٣٤٥/٧، (٦٤٨).

حقاً الكلام الطيب هو النافع للخلق، ولكن متكلّمه
يخشى عليه خطرُ الفتن كما إذا كان الداعي فصيحاً وبلوغاً يتكلّم
بطلاقةٍ فيمكنه أن يقع في الفتنة لمدح الناس إياه، أو من أجل
خيلائه على أهليته وتفضيل نفسه على الآخرين، واحتقاره إياهم،
ومحاولة إقناعه هؤلاء بأنّه ذو علمٍ فوقهم لهوى النفس، أو
لاستخدامه التعبيرات المتناسقة والجمل البليغة ليمدحه الناس
وكذلك من صوته جميلٌ ربّما يقع في الخطر؛ إذ يمدحه الناس،
فيظنُّ أنّ صوته الجميل من خواصّه فيتكبر ويَنسى أنّه منحة الله
تعالى عليه فتنبه ذلك العالم الربانيّ حول فتنة المنطق حق، ومن
يتصف من الدعاة بالصفات المذمومة المذكورة فكلامه فتنة
كبيرة له، وسببٌ للهلاك في الآخرة ولو انتفع الخلق بكلامه.

طريقة ممتازة لحفظ الكلام عن العبث

من أراد أن يقلّ كلامه حتماً نُقدّم له طريقةً ممتازةً
لتنقيح كلامه وحفظه عن العبث واللغو بما لا طائل تحته من
كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي رحمه الله تعالى حيث
يقول: إنّ الكلام أربعة أقسام: قسمٌ هو ضررٌ محضٌ وقسمٌ هو
نفعٌ محضٌ وقسمٌ فيه ضررٌ ومنفعةٌ، وقسمٌ ليس فيه ضررٌ ولا

مَنْفَعَةٌ، أَمَّا الَّذِي هُوَ ضَرَرٌ مَحْضٌ فَلَا بُدَّ مِنَ السُّكُوتِ عَنْهُ،
 وَكَذَلِكَ مَا فِيهِ ضَرَرٌ وَمَنْفَعَةٌ لَا تَقِي بِالضَّرْرِ، وَأَمَّا مَا لَا مَنْفَعَةَ
 فِيهِ وَلَا ضَرَرَ فَهُوَ فَضُولٌ، وَالِاشْتِغَالُ بِهِ تَضْيِيعُ زَمَانٍ وَهُوَ عَيْنُ
 الْخُسْرَانِ فَلَا يَبْقَى إِلَّا الْقِسْمُ الرَّابِعُ، فَقَدْ سَقَطَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْكَلَامِ
 وَبَقِيَ رُبْعٌ، وَهَذَا الرَّبْعُ فِيهِ خَطَرٌ إِذْ يَمْتَزِجُ بِمَا فِيهِ إِيْثْمٌ مِنْ دَقَائِقِ
 الرِّيَاءِ وَالتَّصْنُوعِ، وَالتَّزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَفَضُولِ الْكَلَامِ امْتِزَاجًا
 يَخْفَى دَرْكُهُ فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ بِهِ مُخَاطِرًا^(١).

السفيه يتكلم دون التفكير

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي الْإِسْلَامِ! الْعَاقِلُ مَنْ يُفَكِّرُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ،
 وَالسَّفِيهُ مَنْ يَتَكَلَّمَ مَا يَشَاءُ دُونَ أَنْ يُفَكِّرَ حَتَّى وَلَوْ وَصَلَ إِلَى غَايَةِ
 الذَّلَّةِ وَالْهَوَانِ وَقَالَ سَيِّدُنَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ
 لِسَانَ الْحَكِيمِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ،
 فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَاكٌ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ قَلْبَهُ عَلَى
 طَرْفِ لِسَانِهِ لَا يَرْجِعُ إِلَى قَلْبِهِ، مَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ تَكَلَّمَ^(٢).

(١) ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آفات اللسان، ١٣٨/٣، ملخصاً.

(٢) ذكره السمرقندي في "تنبيه الغافلين"، ص ١١٥.

طريقة التفكير قبل الكلام

أيها الإخوة! كان النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم ينطق عن الهوى ولم يضحك بالقهقهة أبداً يا ليت سنة الصمت عن فضول الكلام وعدم القهقهة تعم، ويا ليتنا نتعود على التفكير قبل أن نتكلم، وإن طريقة التفكير هي أن نرجع إلى قلوبنا قبل أن نلفظ: ما الغرض من هذا الكلام؟ هل ندعو به أحداً إلى المعروف؟ وهل في كلامنا هذا خير لنا أو لغيرنا؟ وهل كلامنا مملوء بمبالغة تؤدي إلى الكذب؟

لقد ضرب صدر الشريعة المفتي محمد أمجد علي الأعظمي رحمه الله تعالى مثالا للمبالغة الكاذبة حيث قال: ليس من الكذب ما اعتيد من المبالغة ك: جئتك ألف مرة؛ لأن المراد تفهيم المبالغة لا المرات، فإن لم يكن جاء إلا مرة واحدة فهو كاذب^(١). فليتكلم العبد هكذا: هل أمدح أحداً كذبا؟ وهل أغتاب؟ وهل يحزن قلب أحد بكلامي؟ وهل أندم بعد أن تكلمت وأرجع عن قولي، وأتأسف؟ وهل أبوح بسرّي أو بسرّ

(١) "رد المحتار"، كتاب الحظر والإباحة، ٧٠٥/٩ و"بهار شريعة"، ٥١٩/٣.

عَبْرِي؟ فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ ضَرَرٌ وَلَا مَنْفَعَةٌ، وَلَا ثَوَابٌ وَلَا
 إِثْمٌ يَبْقَى فِيهِ ضَرَرٌ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ؛ إِذْ لَوْ
 قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، أَوْ صَلَّى عَلَى الْحَبِيبِ
 الْمُصْطَفَى بَدَلًا مِنَ الْفُضُولِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ لَكَانَ لَهُ نَفْعٌ عَظِيمٌ،
 وَهَذَا اسْتِمَارٌ لَوْقَتِهِ بِشَكْلِ صَحِيحٍ، وَضِياعٌ هَذَا الرَّبْحِ الْعَظِيمِ
 مِنَ الْخُسْرَانِ.

طريقة الصمت

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ! فَضُولُ الْكَلَامِ لَيْسَ بِذَنْبٍ وَلَكِنَّ فِيهِ حِرْمَانًا
 وَأَضْرَارًا، فَلَا بُدَّ مِنَ الْحَذَرِ مِنْ فَضُولِ الْكَلَامِ، وَيَا لَيْتَنَا نَلْزَمُ
 الصَّمْتَ عَنِ الْفُضُولِ، وَقَالَ سَيِّدُنَا مُورِّقُ الْعِجْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى: أَمْرٌ أَنَا فِي طَلْبِهِ مِنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ وَلَسْتُ
 بِتَارِكٍ طَلْبُهُ أَبَدًا قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ، قَالَ: الصَّمْتُ عَمَّا
 لَا يَعْنِينِي ^(١).

وَمَنْ أَرَادَ الصَّمْتَ فَعَلِيهِ أَنْ يُخَاطَبَ النَّاسَ بِالْإِشَارَةِ أَوْ
 يَقُومَ بِالتَّعْبِيرِ عَمَّا يُرِيدُ بِالْكِتَابَةِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُطْلَقَ عِنَانَ لِسَانِهِ،

(١) ذكره أحمد بن حنبل في "الزهد"، ص ٣١٠، (١٧٦٢).

وبهذا سَيَلْزَمُ الصَّمْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُنَاكَ سَوَالٌ فِي "جَوَائِزِ
الْمَدِينَةِ" بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ هِيَ:

هَلْ خَاطَبَتِ النَّاسَ بِالْإِشَارَةِ بَدَلًا مِنْ الْكَلَامِ وَقُمْتَ
بِالتَّعْبِيرِ عَمَّا تُرِيدُ بِالْكِتَابَةِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقْلَى لِلْإِتِّعَادِ عَنِ
فَضُولِ الْكَلَامِ؟

وَمِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ تَنْجَحُوا فِي الْإِحْتِرَازِ عَنِ فَضُولِ الْكَلَامِ
لِعِدَّةِ أَيَّامٍ خِلَالَ مُحَاوَلَتِكُمْ التَّعَوُّدَ عَلَى الصَّمْتِ، وَرُبَّمَا تَرْجِعُونَ
إِلَى كَثْرَةِ الْكَلَامِ، فَإِنْ حَدَثَ ذَلِكَ فَلَا تَسْتَسْلِمُوا، بَلْ حَاوِلُوا
الصَّمْتَ مِرَارًا، وَإِنْ كَانَ عَزْمُكُمْ صَادِقًا سَتَنْجَحُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ
تَعَالَى.

وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ وَجْهُكُمْ مُبْتَسِمًا أَثْنَاءَ التَّمَرُّنِ وَالتَّعَوُّدِ
عَلَى الصَّمْتِ حَتَّى لَا يَشْعُرَ النَّاسُ بِأَنَّكُمْ مُخَاصِمُوهُمْ أَوْ غَاضِبُونَ
مِنْهُمْ، وَفِي الْبَدَايَةِ إِذَا لَمْ يَفْهَمُوا أَحَدٌ إِشَارَتِكُمْ فَلَا تَغْضَبُوا عَلَيْهِ،
حَتَّى لَا تَرْتَكِبُوا ذَنْبَ إِيْدَاءِ الْمُسْلِمِ وَإِنَّمَا يَتَلَاثَمُ الْكَلَامُ بِالْإِشَارَةِ
مَعَ مَنْ يَكُونُ مَعَهُ انْسِحَامٌ فِكْرِيٌّ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْزَنَ أَوْ يَغْضَبَ
مِنْكُمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ انْسِحَامٌ فِكْرِيٌّ مَعَكُمْ مِنْ أَجْلِ الْكَلَامِ بِالْإِشَارَةِ
فَلِذَا كَلَّمُوهُ حَسَبَ الْحَاجَةِ دُونَ الْإِشَارَةِ وَالْكِتَابَةِ.

وقد يجبُ الكلامُ في بعضِ الوجوهِ كَرَدِّ السَّلامِ وغيرِ ذلكِ والسَّلامُ باللِّسانِ لا بالإشارةِ سُنَّةٌ حِينَ اللِّقاءِ، وكذلك إذا طَرَقَ أَحَدُ البَابِ فسُئِلَ: من على البَابِ؟ فلا يُقَلُّ: افْتَحِ البَابَ، أو أَنَا، بَلِ السُّنَّةُ أَنْ يَذْكَرَ اسْمَهُ.

ادع الناس بأسلوب حسن واكسب الأجر

ومخاطبةُ النَّاسِ بإخراجِ أصواتٍ غريبةٍ ليس بأسلوبٍ مُهذَّبٍ، فإذا عَرَفَ اسْمَ المُخاطَبِ أو كُنْيَتَهُ فلا يُنادِهِ إلاَّ باسمِهِ أو بكنْيَتِهِ فإنَّه سُنَّةٌ، ولو لَمْ يَعْرِفْ اسْمَهُ فلينادِهِ وَفَقَّ عُرِفَ ذلكِ المَكَانِ بأسلوبٍ مُهذَّبٍ، كما تُنادِي في مُجْتَمَعِنَا شأبًا بقَوْلِنَا: أَيُّهَا الأَخُ العَزِيزُ أو أَيُّهَا الأَخُ الكَرِيمُ، وإنْ كانَ كَبِيرَ السِّنِّ فنقولُ: يا عَمِّي أو يا شَيْخُ وغيرَ ذلكِ مِنَ الكَلِماتِ الطَّيِّبَةِ، فإذا خاطَبْنَا أَحَدًا فَلنُخاطِبِهِ بأسلوبٍ جَمِيلٍ بِنِيَّةِ تَطْيِيبِ خاطرِ المُسْلِمِ وَلنَذْكَرُ اسْمَهُ الكامِلَ وَبالتَّالِي لِنُضِيفَ إِلَيْهِ كَلِمَةَ الأَخِ أو المُحْتَرَمِ وغيرَ ذلكِ مِنَ الكَلِماتِ الطَّيِّبَةِ على اختلافِ المُشارِبِ، وتفاوتِ المُستوياتِ، وإنْ كانَ المُخاطَبُ قد حَجَّ فَلنُضِيفُ كَلِمَةَ الحَاجِّ حِينَ نَدائِهِ، وَليقَلِّ المُخاطَبُ: لَبَّيْكَ.

وبفضل الله تعالى يُقالُ على الأغلْبِ في بيئَةِ مَرَكِزِ الدعوةِ
الإسلاميَّةِ: لَبَّيْكَ جَوَابًا عَنِ النِّدَاءِ، فهذا مما يُدخِلُ الفَرَحَ
والسرورَ على قلبِ المسلمِ، وقد ذُكِرَ في الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ: أنَّ
الصَّحَابَةَ الكرامَ رضي الله عنهم كانوا يقولون لِسَيِّدِنَا رسولِ الله
صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَطْلُبُهُم: لَبَّيْكَ، وبالإضافةِ
لِذَلِكَ ثَبَتَ عَنِ الإِمَامِ الرِّبَّانِيِّ الواليِ الكاملِ أَبِي عبدِ اللهِ أَحْمَدَ
بنِ حنبلٍ رحمه اللهُ تَعَالَى حيثُ ذُكِرَ عَنْهُ: أَنَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ
يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ^(١)، وَذُكِرَ فِي "الْحَصَنِ
الْحَصِينِ مِنْ كَلَامِ سَيِّدِ المرسلينِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ":
إِذَا نَادَاهُ رَجُلٌ رَدَّ عَلَيْهِ: لَبَّيْكَ^(٢).

ثلاث قصص حول بركة الصمت

رؤية النبي في المنام ببركة الصمت

[١]: مُلَخَّصٌ مَا كَتَبْتُ إِحْدَى الأَخَوَاتِ: أَنَّهُا قَدْ
اسْتَمَعَتْ إِلَى شَرِيْطِ الدَّرْسِ المَمْلُوءِ بالسُّنَنِ حَوْلَ أَهْمِيَّةِ

(١) "مناقب الإمام أحمد بن حنبل" لابن الجوزي، ص ٢٩٨.

(٢) ذكره ابن الجزري في "الحصن الحصين"، ص ١٠٤.

الصَّمْتِ، وَقَالَتْ بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعَتْ إِلَيْهِ: بَدَأْتُ أَحْوَلَ التَّزَامِ
الصَّمْتِ، وَقَدْ عَرَفْتُ خِلَالَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ: كَمْ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ
تَكَلَّمْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَبِرَكَةِ الصَّمْتِ طَفِقْتُ أَرَى الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فِيهِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ مُحَاوَلَةِ لُزُومِ
الصَّمْتِ اسْتَمَعْتُ إِلَى شَرِيْطِ دَرْسٍ آخَرَ بَعْنَوَانٍ: "مَا هِيَ
الإِطَاعَةُ؟"، وَعِنْدَمَا نِمْتُ لَيْلًا رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ وَقْعَةً تَارِيخِيَّةً: قَدْ
جَرَتْ الْحَرْبُ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَقَالَ لَهُ: يَا حُذَيْفَةُ، إِذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ
فَانظُرْ مَا يَفْعَلُونَ فَذَهَبَ وَدَخَلَ فِي الْقَوْمِ، وَرَأَى سَيِّدَ قُرَيْشٍ أَبَا
سُفْيَانَ (وَهُوَ لَمْ يُسَلِّمْ بَعْدُ) وَهُوَ قَائِمٌ ثُمَّ أَرَادَ قَتْلَهُ بِسَهْمٍ، وَلَكِنَّهُ
تَذَكَّرَ عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْهِ أَنْ لَا يُحَدِّثَ شَيْئًا حَتَّى يَأْتِيَهُ، فَامْتَنَعَ
عَنْ قَتْلِهِ إِطَاعَةً لِسَيِّدِ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ.

وَأَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنِّي تَشَرَّفْتُ بِرُؤْيَا سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ
صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابِيِّينَ فِي الْمَنَامِ بِوُضُوحٍ، وَأَمَّا
بَقِيَّةُ مَشَاهِدِ الرُّؤْيَا فَلَمْ تَكُنْ وَاضِحَةً، وَأَضَافْتُ قَائِلَةً: لَقَدْ
أَكْرَمَنِي رَسُولُ اللَّهِ بِرُؤْيَيْهِ فِي الْمَنَامِ لِ مُحَاوَلَتِي لُزُومِ الصَّمْتِ

لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ، وَأَتَمَّنَى أَنْ لَا يَخْرُجَ فُضُولُ الْكَلَامِ مِنْ فَمِي أَبَدًا، وَأَطْلُبُكُمُ الدَّعَاءَ بِالنَّجَاحِ فِي مُحَاوَلَتِي هَذِهِ..، رَبِّمَا تَعْبُطُ الْأَخَوَاتُ فِي الْإِسْلَامِ هَذِهِ الْأُخْتِ السَّعِيدَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ لُزُومَ الصَّمْتِ عَنِ الْفُضُولِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَلِأَنَّ النِّسَاءَ تَتَكَلَّمُ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ عَادَةً.

دور لزوم الصمت في جعل البيئة الصالحة في المنطقة

[٢]: قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ أَحَدُ الْإِخْوَةِ قِصَّتَهُ، وَأَذْكَرُ هُنَا مُلَخَّصَهَا: كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِفُضُولِ الْكَلَامِ بِكَثْرَةٍ قَبْلَ أَنْ أُسْتَمَعَ إِلَى الدُّرُوسِ فِي اجْتِمَاعَاتِ مَرْكَزِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَعَ أَنَّنِي كُنْتُ مُرْتَبِطًا بَبَيْئَةِ مَرْكَزِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَمْ أَكُنْ أُصَلِّيْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَلِيلًا وَلَكِنْ مُنْذُ أَنْ بَدَأْتُ مُحَاوَلَةَ لُزُومِ الصَّمْتِ أَصْبَحْتُ أُصَلِّيْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَلْفَ مَرَّةٍ يَوْمِيًّا، وَقَبْلَ ذَلِكَ كُنْتُ أُضَيِّعُ أَوْقَاتِي فِيْمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَالْآنَ أَقُومُ بِإِهْدَائِكَ ثَوَابَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ صَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَضَافَ قَائِلًا: قَدْ أَصَابَ عَمَلَ الدَّعْوَةِ ضَرْرٌ شَدِيدٌ فِي مَنْطِقَتِي بِسَبَبِ هُرَائِي، وَقَبْلَ أَيَّامٍ تَمَّ لِقَاءُ الدَّعَاةِ

فِي مَنْطِقَتِي لِحَلِّ الْخِلَافِ بَيْنِي وَبَيْنَ بَعْضِ الْإِخْوَةِ، وَالْعَجَبُ أَنَّ
 الْخِلَافَ قَدْ أَنْحَسَمَ بِسُكُوتِي بِيْسَرٍ، فَقَالَ لِي مَسْئُولُ الْمِنْطَقَةِ
 فَرِحًا بَبَسَاطَةٍ: لَقَدْ خِفْتُ أَنْ تُنَاقِشَ وَتُطَوِّلَ الْكَلَامَ، وَلَكِنَّكَ
 أَرَحْتَنَا بِلِزُومِكَ الصَّمْتِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ يَتَغَيَّرُ جَوْ لِقَاءِ الدُّعَاةِ
 بِسَبَبِ هَرَائِي مِرَارًا.

السلاح المفيد لعمل الدعوة

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ! قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ لِزُومَ الصَّمْتِ عَنِ الْفِضُولِ مَفِيدٌ
 جَدًّا لِعَمَلِ الدُّعَاةِ وَلِهَذَا فَلْيَكُنِ الدَّاعِي قَلِيلَ الْكَلَامِ وَجَادًّا
 وَيَلْحَقُ عَمَلَ الدُّعَاةِ ضَرَرٌ شَدِيدٌ بِالْمِكْثَارِ وَالْمُثَرِّثِ وَقَاطِعِ
 الْكَلَامِ وَالْمُجَادِلِ وَمُطَوِّلِ الْكَلَامِ دُونَ حَاجَةٍ لِأَنَّهْمَ يَحْرَمُونَ
 مِنَ الصَّمْتِ الَّذِي هُوَ السَّلَاحُ الْمَفِيدُ لِإِبْعَادِ الشَّيْطَانِ وَقَدْ أَوْصَى
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيِّدَنَا أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ فَقَالَ:
 «عَلَيْكَ بِطَوَّلِ الصَّمْتِ فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ
 دِينِكَ»^(١).

^(١) ذكره البيهقي في "شعب الإيمان"، ٤/٢٤٢-٢٤٣، (٤٩٤٢).

دور لزوم الصمت في جعل البيئة دينية في البيت

[٣]: أيها الإخوة الكرام! سَتَزِدَادُ مَهَابَتِكُمْ فِي الْبَيْتِ بِتَرْكِ فَضُولِ الْكَلَامِ، وَالسُّخْرِيَّةِ، وَقِلَّةِ الْأَدَبِ، فَإِذَا تَأَثَّرَتْ أُسْرَتُكُمْ بِجِدِّكُمْ أَقْبَلُوا عَلَى دَعْوَتِكُمْ لِلْخَيْرِ وَيَتَيَسَّرْ لَكُمْ جَعْلُ الْبَيْتِ بَيْعَةً دِينِيَّةً، كَمَا أَنَّ أَحَدَ الْإِخْوَةِ كَتَبَ إِلَيَّ بَعْدَ أَنْ اسْتَمَعَ إِلَى الدَّرْسِ حَوْلَ أَهْمِيَّةِ الصَّمْتِ فِي اجْتِمَاعِ مَرْكَزِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَخُلَاصَةَ كَلَامِهِ: بَدَأْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مُحَاوَلَةَ لُزُومِ الصَّمْتِ وَفَقَّ النَّصَائِحِ الَّتِي أُلْقِيَتْ عَلَيَّ فِي الدَّرْسِ الْمَمْلُوءِ بِالسُّنَنِ، وَالْآنَ أَتَنْفَعُ بِهَا كَثِيرًا وَكَانَ أَفْرَادُ أُسْرَتِي مُنْزَعَجِينَ مِنِّي لِكَثْرَةِ كَلَامِي وَلَكِنْ مُنْذُ أَنْ بَدَأْتُ لُزُومَ الصَّمْتِ صَارَ لِي مَكَانَةٌ لَدَيْهِمْ وَفِي السَّابِقِ كَانَتْ وَالِدَتِي تَنْزَعُجُ مِنِّي لِأَنِّي كُنْتُ مِكْتَارًا وَالْآنَ أَصْبَحْتُ فَرِحَةً جَدًّا جَدًّا، وَحِينَمَا أُبَيِّنُ سُنْنَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّي تَسْتَمِعُ إِلَى كَلَامِي وَتُحَاوِلُ أَنْ تَعْمَلَ بِهَا.

تسع عشرة نصيحة حول جعل البيئة دينية في البيت

[١]: إلقاء السلام عند دخول البيت والخروج منه.

[٢]: القيام للوالدين على وجه البر والإكرام.

[٣]: على الابن أن يُقبَّلَ يَدَ وَالِدِهِ وَعَلَى الْبِنْتِ أَنْ تُقَبَّلَ يَدَ أُمِّهَا مَرَّةً فِي الْيَوْمِ عَلَى الْأَقْلِّ.

[٤]: خَفَضُ الصَّوْتِ أَتْنَاءَ الْكَلَامِ أَمَامَ الْوَالِدَيْنِ، وَغَضُّ الْبَصْرِ عِنْدَ التَّحَدُّثِ مَعَهُمَا.

[٥]: الْمُسَارَعَةُ إِلَى طَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ فِيمَا أَمَرَاهُ ضِمْنَ حُدُودِ الشَّرْعِ. [٦]: الْإِلْتِزَامُ بِالْوَقَارِ وَالْهُدُوءِ وَالْإِتِّعَادُ عَنِ الْأُسْلُوبِ الْفُظِّ الْخَشِينِ فِي الْمُخَاطَبَةِ، وَالنَّدَاءِ، وَالْحَذَرُ مِنَ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَكَثْرَةِ الْغَضَبِ وَعَدَمُ التَّكَلُّمِ عَنِ الطَّعَامِ بِقَدْحٍ أَوْ عَيْبٍ وَالِاجْتِنَابُ عَنِ ضَرْبِ الْإِخْوَةِ الصَّغَارِ، وَزَجْرِهِمْ وَالْحَذَرُ مِنَ الْجَدَلِ وَالْمُنَاقَشَةِ مَعَ الْكِبَارِ، فَمَنْ كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَفْعَلَ هَكَذَا فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الْعَادَةِ، وَيَسْتَسْمِحَ مِنَ الْجَمِيعِ. [٧]: لُزُومُ الْهُدُوءِ دَاخِلَ الْمَنْزِلِ وَخَارِجَهُ، وَسَتِّظْهُرُ بَرَكَاتِهِ دَاخِلَ الْبَيْتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

[٨]: مُخَاطَبَةُ الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ بِأُسْلُوبٍ مُؤَدَّبٍ وَلَطِيفٍ.

[٩]: النَّوْمُ خِلَالَ سَاعَتَيْنِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فِي مَسْجِدِ الْحَيِّ وَالِاسْتِيقَاطُ لِصَلَاةِ التَّهَجُّدِ وَلِأَدَاءِ صَلَاةِ الْفَجْرِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَعَدَمُ التَّكَاسُلِ فِي الشُّغْلِ.

[١٠]: لَوْ وَجَدْتَ أَفْرَادَ أُسْرَتِكَ يَتَسَاهَلُونَ فِي الصَّلَاةِ وَالْحِجَابِ وَيُشَاهِدُونَ الْأَفْلَامَ وَالْمَسْرَحِيَّاتِ وَيَسْمَعُونَ الْأَغَانِي وَالْمَعَازِفَ وَلَسْتَ رَبَّ الْمَنْزِلِ وَأَنْتَ مُتَأَكِّدٌ بِغَلْبَةِ الظَّنِّ أَنَّهُمْ لَا يُصْعِقُونَ إِلَى كَلَامِكَ فَعَلَيْكَ بِتَرْغِيبِ أُسْرَتِكَ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ فِي الْإِسْتِمَاعِ إِلَى أَشْرَاطِ الدُّرُوسِ وَالْقُرُوصِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْمَرْئِيَّةِ فَإِنَّهَا تَنْفَعُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

[١١]: مَهْمَا وَبَخَكَ الْكِبَارُ فِي الْبَيْتِ عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَمَّلَ وَتَصْبِرَ عَلَى الْأَذَى الَّذِي يُصِيبُكَ مِنْ قَبْلِ الْأَهْلِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْسُوَ عَلَيْهِمْ أَوْ تُنَاقِشَهُمْ وَإِلَّا فَقَدْ لَا يَتَهَيَّأُ جَوْ الْبَيْتِ الدِّينِيَّةِ فِي الْبَيْتِ، بَلْ قَدْ يَتَدَهَوَّرُ جَوْ الْبَيْتِ؛ إِذْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَنِيفًا بِغِلْظَةٍ.

[١٢]: الْأَفْضَلُ لِبِنَاءِ الْبَيْتِ الصَّالِحَةِ فِي الْأُسْرَةِ إِقَاءُ الدَّرْسِ فِي الْبَيْتِ أَوْ الْإِسْتِمَاعُ إِلَيْهِ مِنْ كِتَابِ "نَفَحَاتِ السُّنَّةِ" (المعروف بـ: "فيضان سنة").

[١٣]: الدُّعَاءُ بِتَضَرُّعٍ لِلْأَهْلِ وَالْعِيَالِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ».

[١٤]: على الكِنَّةِ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى حَمَاهَا وَحَمَاتِهَا كَمَا تُحْسِنُ إِلَى أُبُوئِهَا إِذَا لَمْ يُوجَدْ مَانِعٌ شَرْعِيٌّ، وَالْأَحْوَطُ أَنْ لَا تُقْبَلَ الْكِنَّةُ يَدَ حَمَاهَا، وَكَذَلِكَ لَا يُقْبَلُ الصَّهْرُ يَدَ حَمَاتِهَا.

[١٥]: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا»: الْإِلْتِزَامُ بِقِرَاءَةِ هَذَا الدُّعَاءِ (١)، مَرَّةً بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ مَعَ الصَّلَاةِ عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى مَرَّةً وَاحِدَةً فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ وَبِرَكْعَةِ هَذَا الدُّعَاءِ يَكُونُ عِيَالُكَ مُتَمَسِّكِينَ بِالسُّنَّةِ وَتَنْشَأُ بَيْتَةٌ صَالِحَةٌ فِي الْبَيْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

[١٦]: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ»: مِنْ قَرَأَهَا قَائِمًا عَلَى الْوَالِدِ الْعَاقِّ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا وَهُوَ نَائِمٌ مَرَّةً وَاحِدَةً لِمُدَّةِ أَحَدِ عَشْرَ يَوْمًا أَوْ أَحَدِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مَعَ الصَّلَاةِ عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا صَارَ وَلَدُهُ مُطِيعًا لِوَالِدَيْهِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْرَأَ بِصَوْتٍ لَا يُوقِظُ النَّائِمَ وَإِذَا كَانَ نَوْمُهُ خَفِيفًا وَلَا يُعْلَمُ أَهْوَى نَائِمٌ أَوْ مُعْمِضٌ عَيْنَيْهِ فَلَا يَقْرَأُهَا عَلَيْهِ

(١) كلمة "اللهم" ليست من الآية القرآنية، والآية تبدأ من : ربنا هب لنا.....إلخ.

خَوْفًا لِلْفِتْنَةِ، وَخَاصَّةً لَا تَقْرَأُهَا الزَّوْجَةُ عَلَى زَوْجِهَا خَوْفًا
 لِلْفِتْنَةِ. [١٧]: اِقْرَأْ يَا شَهِيدُ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً بَعْدَ صَلَاةِ
 الْفَجْرِ مُتَّجِهَاً إِلَى السَّمَاءِ مَعَ الصَّلَاةِ عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى مَرَّةً
 وَاحِدَةً فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ الْإِبْنَ مُطِيعًا، وَاسْتَمْرَرَ عَلَى
 قِرَاءَتِهَا إِلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ. [١٨]: حَاوِلْ أَنْ تَلْتَزِمَ بِالْعَمَلِ بِجَوَائِزِ
 الْمَدِينَةِ، وَعَوِّذْ أَسْرَتَكَ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ فَتَكُونُ
 الْبَيْعَةُ الْمَنْزِلِيَّةُ بَيْعَةً صَالِحَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

[١٩]: اَلْتَزِمِ بِالسَّفَرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ قَافِلَةِ الْمَدِينَةِ لِمُدَّةِ
 ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كُلِّ شَهْرٍ عَلَى الْأَقَلِّ، وَادْعُ اللَّهَ لِنَفْسِكَ وَلِأَهْلِكَ، فَإِنَّ
 السَّفَرَ فِي قَافِلَةِ الْمَدِينَةِ سَبَبٌ لِتَكْوِينِ الْبَيْئَةِ الصَّالِحَةِ وَقَدْ سَمِعْنَا
 عَنْ ذَلِكَ قِصَصًا كَثِيرَةً.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ! أَحْتَمِمُ كَلَامِي بِذِكْرِ فَضْلِ السُّنَّةِ وَبَيَانِ
 آدَابِ الْاسْتِيَاكِ حَيْثُ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
 وَالسَّلَامِ: «مَنْ أَحَبَّ سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ
 فِي الْجَنَّةِ»^(١).

صَلُّوا عَلَى الْحَبِيبِ! صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي "تَارِيخِ دِمَشْقٍ"، ٣٤٣/٩.

آداب الاستياك

[١]: ورد في الحديث الشريف: «رَكَعَتَانِ بِالسَّوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكَعَةً بَعَيْرِ سِوَاكِ»^(١).

[٢]: وفي الحديث الآخر: «عَلَيْكُمْ بِالسَّوَاكِ فَإِنَّهُ مَطْيِبَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»^(٢).

[٣]: قال الشيخ المفتي محمد أمجد علي الأعظمي رحمه الله تعالى: قال المَشَايخُ الكِرَامُ رحمهم الله تعالى: مَنْ اعْتَادَ الاسْتِيَاكَ يُرْجَى خِتَامُهُ بِالْإِيْمَانِ، وَمَنْ اعْتَادَ الْأَفْيُونَ يُخَافُ أَنْ يَكُونَ خِتَامُهُ بِالْكَفْرِ^(٣).

[٤]: عن سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «فِي السَّوَاكِ عَشْرُ خِصَالٍ: يُطَيَّبُ الْفَمَ وَيَشُدُّ اللَّثَّةَ وَيَجْلُو الْبَصَرَ وَيُذْهِبُ الْبَلْغَمَ، وَيُذْهِبُ الْحَفْرَ، وَيُوَافِقُ السُّنَّةَ وَيُفْرِّحُ الْمَلَائِكَةَ وَيُرْضِي الرَّبَّ، وَيَزِيدُ فِي الْحَسَنَاتِ، وَيُصْلِحُ الْمَعْدَةَ»^(٤).

(١) "الترغيب والترهيب"، ١/١٠٢.

(٢) ذكره احمد بن حنبل في "مسنده"، ٤٣٨/٢، (٥٨٦٩).

(٣) "بهار شريعة"، الجزء الأول، ٢٨٨/١، لصدر الشريعة أمجد علي الأعظمي.

(٤) ذكره السيوطي في "جمع الجوامع"، ٢٤٩/٥، (١٤٨٦٧).

[٥]: قال الشيخُ عبدُ الوَهَّابِ الشَّعْرَانِي رحمة الله

تعالى: قد بَلَّغْنَا عن سَيِّدِنَا الشُّبَلِيِّ رحمة الله تعالى أَنَّهُ احتَاجَ إلى سِوَاكِ وِقتَ الوُضوءِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَبَدَلَ فِيهِ نَحْوَ دِينَارٍ حَتَّى تَسَوَّكَ بِهِ وَلَمْ يَتْرُكْهُ فِي وُضوءٍ، فَاسْتَكْثَرَ بَعْضُ النَّاسِ بَدْلَ ذَلِكَ الْمَالِ فِي سِوَاكِ، فَقَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ فَمَاذَا يَكُونُ جَوَابِي إِذَا قَالَ لِي: لِمَ تَرَكْتَ سُنَّةَ نَبِيِّي، وَلَمْ تَبْدُلْ فِي تَحْصِيلِهَا مَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ جَنَاحِ البُّعُوضَةِ^(١).

[٦]: قال سَيِّدُنَا الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رحمة الله تعالى: أَرْبَعَةٌ

تَزِيدُ فِي العَقْلِ: تَرْكُ الفُضُولِ مِنَ الكَلَامِ، وَالسَّوَاكُ، وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ، وَالْعُلَمَاءِ^(٢).

[٧]: وَيَسْتَاكُ بِالْأَرَاكِ أَوْ الزَّيْتُونِ أَوْ النَّيْمِ (الشَّجَرَةُ المَرَّةُ

المعروفة).

[٨]: وَأَنْ يَكُونَ فِي غِلْظِ الخِنْصَرِ وَطُولِ شِبْرِ.

[٩]: وَلَا يُزَادُ عَلَى الشَّبْرِ إِلَّا فَالشَّيْطَانُ يُرَكَّبُ عَلَيْهِ.

(١) ذكره الشعراي في "الوقح الأنوار"، ص ٣٨.

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، ٢٧/٣.

[١٠]: يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ السَّوَاكُ لَيْنًا، لِأَنَّ السَّوَاكَ
الْحَشِينَ يَكُونُ سَبَبًا فِي الْخَلَلِ بَيْنَ الْأَسْنَانِ وَاللِّثَّةِ.

[١١]: الْأَفْضَلُ أَنْ يَقْطَعَ رَأْسَهُ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ اسْتِعْمَالِهِ
بَعْدَ نَهَايَةِ مُرَّةٍ، فَإِنَّهُ مُفِيدٌ مَا دَامَ مُرًّا.

[١٢]: يَسْتَأْكُ عَرَضًا لَا طَوْلًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقْلَى،
وَيَعْسَلُهُ كُلَّ مَرَّةٍ.

[١٣]: السُّنَّةُ فِي كَيْفِيَّةِ أَخْذِ السَّوَاكِ: أَنْ تَجْعَلَ الْخِنْصَرَ
مِنْ يَمِينِكَ أَسْفَلَ السَّوَاكِ تَحْتَهُ وَالْبَنْصِرَ وَالْوَسْطَى وَالسَّبَابَةَ فَوْقَهُ
وَاجْعَلِ الْإِبْهَامَ أَسْفَلَ رَأْسِهِ تَحْتَهُ وَلَا تَقْبِضِ الْقَبْضَةَ عَلَى السَّوَاكِ
فَإِنَّ ذَلِكَ يُورِثُ الْبَاسُورَ.

[١٣]: الْاسْتِيَاكُ سُنَّةٌ قَبْلِيَّةٌ لِلْوُضُوءِ وَهُوَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ
عِنْدَ تَغْيِيرِ رَائِحَةِ الْفَمِ^(١).

[١٣]: لَا يُرْمَى السَّوَاكُ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَابِلًا لِلِاسْتِعْمَالِ،
لِأَنَّهُ آلَةٌ أَدَاءُ السُّنَّةِ، بَلِ الْأَفْضَلُ أَنْ يَوْضَعَ فِي مَكَانٍ غَيْرِ نَجَسٍ،
أَوْ يُدْفَنَ فِي الْأَرْضِ أَوْ يُغْرَقَ فِي الْبَحْرِ بِرَبْطِ الْحَجَرِ أَوْ الشَّيْءِ

(١) "الفتاوى الرضوية"، ١/٦٢٣.

الثَّقِيلِ مَعَهُ (وَلِمَعْرِفَةِ الْمَزِيدِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ لِيُرَاجَعَ كِتَابُ "بَهَارِ الشَّرِيعَةِ"، الْجُزْءِ الْأَوَّلِ، صَد ٢٩٤-٢٩٥).

وَلِتَعْلَمَ آفَافِ السُّنَنِ يُرَاجَعُ الْجُزْءُ السَّادِسُ عَشَرَ مِنْ كِتَابِ "بَهَارِ الشَّرِيعَةِ" (أَي: "رَبِيعِ الشَّرِيعَةِ") الْمُسْتَمَلِ عَلَى ثَلَاثِ مِئَةٍ وَأَثْنَتَيْ عَشْرَةَ صَفْحَةً، وَكِتَابِ "السُّنَنِ وَالْآدَابِ"، وَمِنْ الْفُرْصِ السَّعِيدَةِ لِتَعْلَمَ السُّنَنِ: السَّفَرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ قَافِلَةِ الْمَدِينَةِ.

تقديم هذا الكتيب إلى الآخرين بعد القراءة

اِكْسُبُوا الْأَجُورَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَوْزِيعِ الْكُتُبَاتِ وَالنَّشْرَاتِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلَى النَّصَائِحِ الْمَطْبُوعَةِ مِنْ مَكْتَبَةِ الْمَدِينَةِ فِي مُنَاسَبَاتِ الْأَعْرَاسِ وَالْأَحْزَانِ وَالْاجْتِمَاعَاتِ وَالْإِحْتِفَالَاتِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَضَعُوهَا فِي الْمَحَلَّاتِ التَّجَارِيَّةِ لِتَقْدِيمِهَا إِلَى الزَّبَائِنِ بِنِيَّةِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَوَزَعُوا كُتُبِيَّةً أَوْ نَشْرَةً شَهْرِيًّا عَلَى الْأَقْلِّ فِي بُلُوتِ مَنَاطِقِكُمْ عَنْ طَرِيقِ الْأَطْفَالِ أَوْ بَائِعِي الْجَرَائِدِ، وَأَنْشُرُوا دَعْوَةَ الْخَيْرِ، وَاكْسَبُوا الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ.

فهرس الكتب والرسائل

الغفلة	اختبار القبر
عظام الملوك	الطريقة لإصلاح النفس
الشاب الحي	صفقة قصر الجنة
عجز الميت	مولد النبي صلى الله عليه وسلم
هموم الميت	ضياء الصلاة والسلام
احترام المسلم	الأزهار من روضة الأبرار
علاج الذنوب	الشجرة القادرية
أنوار بسم الله	القصر الخراب
هول الصراط	الخزينة المليئة بالأسرار
موت أبي جهل	أريد إصلاح نفسي
الأمير الصامت	دعوة الخير
نفحات رمضان	التعرف على مركز الدعوة الإسلامية
جوائز المدينة	تذكرة الإمام أحمد رضا
القبة البحرية	سمكة المدينة
علاج الغضب	مختصر مناسك الحج

أسباب سوء الخاتمة	نفحات الجمعة
نصائح العلم والحكمة	العاشق الأكبر

